الكفاءة القرائية للرسم القرآني – دراسة دلالية –

Reading competence of coranic drawing-semantic study

عباس أمين، عباس الصادق

جامعة سيدي بلعباس –جيلالي ليابس–، aminabbas73@yahoo.com

جامعة الجزائر2 – أبو القاسم سعد الله–، abbassphilo@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:2021/04/25	تاريخ القبول:2022/01/18	تاريخ النشر: 2022/03/30

ملخص:

الرسم القرآني منظومة تأويلية تتداعى فيها المعاني حسب رسم كل حرف، فكل لفظ له ضوابطه التعبيرية والذي يتعلق بنواميس قرآنية؛ إذ إنّ كل وحدة لفظية تصور معنى خاص يستجيب لمقتضيات هيئة الرسم ونظم القرآن ورسمه، فتعدد الدلالة القرآنية يتم وفق تناظر الدلالة والرسم حسب السياق القرآني.

الكلمات المفتاحية: الرسم القرآني، دلالة الرسم، السياق.

Abstract: Quoranic writhing is a systimatic explanition that allocates the meaning according to each lettre.Each enunication has its own expressive standard,which is somehown related the quoranic rules.and each and every with of meaning picture a special meaning that goes with the quorannic rules and the way of writing .So the semantics of quoran is ccompliched according to the semmetry bethween the semantics of quoran and it lettering.

Keyword: The coranic drawing – The semantic of drawing- context

1–المقدمة: إنّ صياغة النص القرآني معجزة خالدة يستحيل على البشر الإتيان به والإحاطة بمعانيه ولو اجتمع بعضهم لبعض ظهيرا. ومن مظاهر هذا الإعجاز الرسم القرآني الذي يعتبر من أهم الإجراءات القرائية والآليات التأويلية التي تساعد على الكشف عن الدلالات الخفية للنص القرآني. رغم ذلك فقد ظهرت أطروحات مخالفة لهذا الرأي، والتي تعتبر أن الرسم مرتبط بالتطور التاريخي للخط العربي، والذي عرف بالرسم العثماني نسبة إلى

عثمان بن عفان. وبناءا على هذه الأطروحات نطرح الإشكال التالي: هل الرسم القرآني وقف إلهي أم هو ناتج عن تطور تاريخي للخط العربي؟ وللإجابة على هذه الإشكالية استخدمنا المنهج الوصفي المناسب لهذه الدراسة.

2-تأسيس مفاهيمي للرسم القرآني

2-1 الرسم لغة: الرسم أصله الأثر"[1] ومن معانيه المترادفة الخط والكتابة، والزبر، والرقم و الوشم "[2] . فمادة رسم في المعاجم العربية في أصلها اللّغوي تدل على الأثر، جاء في مقاييس اللّغة رسم الراء والسين والميم أصلان أحدهما الأثر والآخر ضرب من السير" [3] ومن معانيها الفرعية ترسمت الدار: نظرت إلى رسومها، وثوب مرسم: مخطط "[4] ومن معانيها أيضا دلالتها على الغياب والجريان، جاء في لسان العرب رسم في الأرض: غاب. والرسم الماء الجاري "[5].

2-2 الرسم اصطلاحا: المقصود بالرسم القرآني هو: رسم الكلمات القرآنية من حيث نوعية حروف كل كلمة وردت في القرآن الكريم و عدد حروفها. وليس المقصود منه نوعية خط الكتابة"[6] ومن مفاهيمه علم رسم القرآن أو علم الرسم العثماني "[7] . كما أنّ مصطلح الرسم في الدراسات القرآنية يدل على الجانب الذي يهتم بكيفية كتابة الكلمات في المصحف، من حيث عدد الحروف ونوعها، لا من حيث أشكال الحروف وصورها"[8] .

2-3 الرسم القرآني بين التوقيف والاصطلاح:

أثارت قضية الرسم العثماني خلافا بين المشتغلين في مجال الدراسات القرآنية، وحدود هذه المشكلة تتمثل في الإشكالية الآتية :هل رسم المصحف توقيفي أم اصطلاح .

اختلف أهل العلم في هذه المسألة فللعلماء في رسم المصحف آراء ثلاثة :

الرأي الأول: أنّه توقيف لا يجوز مخالفته، وذلك مذهب الجمهور واستدلوا بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان له كتاب يكتبون الوحي. وقد كتبوا القرآن فعلا بهذا الرسم وأقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم على كتابتهم، ومضى عهده والقرآن على هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل "[9] ومن هنا كان لزاما المحافظة على الرسم العثماني وأنّ الدعوة إلى تركه وهجره إلى الرسم الإملائي غير سديدة ... "[10] فهو من خصوصيات القرآن الكريم "وإنّ الذين طعنوا في الرسم العثماني وقعوا في تناقض عجيب وتنافر معيب ..."[11] .

أدلة المذهب الأول: استدل الجمهور على صحة مذهبهم وهو أنّ الرسم القرآني توقيفي لا يجوز تغييره بالأدلة الآتية:

أولا: لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا –كل الحرص– على توثيق النص القرآني من جهتين:

الجهة الأولى: الحفظ: كان النبي يحفظ كل ما أنزل عليه من الوحي، ثم يقرئ الصحابة بما حفظ ويأمرهم بحفظه.

الجهة الثانية: الكتابة: كان له كتاب يكتبون له الوحي، ثم يراجعهم فيما كتبوا حتى إذا وجد خطأ أمرهم بإصلاحه"[12] وعلى هذا فإنّ عملية المراجعة لما يكتبه الصحابة من قبل الرسول يمثل دليلا قويا على توفيقية الرسم يقول محمد شملول في هذا الشأن: وليست كتابة القرآن عن طريق السماع؛ لأنّ الكتابة المملاة من الرسول صلى الله عليه وسلم كانت بشكل مخصوص"[13].

ومما يؤيد كون خط المصاحف توقيف أنّ الصحابة كتبوا الكلمة الواحدة في بعض المواضع بهيئة، وفي مواضع أخرى بهيئة أخرى، ولا يظن غافل أنّه يسمع الكلمة الواحدة فيكتبها مرة بهيئة ومرة بهيئة أخرى. واستدل أصحاب هذا الرأي بأنّ الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان ولم يخالف منهم أحد، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه توقيف ..."[14]. وفي الحديث الصحيح عن زيد بن ثابت –رضي الله عنه – قال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يملي علي، فإذا قرأت قال اقرأ صلى الله عليه وسلم فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به للناس"[15] وهذا دليل وإشارة إلى توجيه الرسول للصحابة عند كتابتهم للوحي والذي كان في بعض كلماته مغايرا لما ألفه الصحابة .

أما فيما يخص اقتران رسم القرآن الكريم بعثمان ابن عفان فما هو إلا تعظيما لمجهوده وفضله في جمعه كاملا، فبالرغم من أنّه قد أطلق على رسم القرآن بعد جمعه في عهد الخليفة عثمان أنّه الرسم العثماني إلا أنّ عثمان– رضي الله عنه – لم يكتب شيئا إلا إذا كان مكتوبا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنّما جمع الناس على مصحف واحد حين اختلفت القراءات بعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية" [16] باختلاط العرب بغيرهم من العجم إذ دعت الضرورة إلى جمع القرآن وصونه من كل تحريف قد يطاله.

ومن هنا يتضح لنا جليا أنّ المصحف الشريف كتب بين يدي الرسول يقول عبد العظيم الزرقاني في هذا الصدد: وأما قول من قال: إنّ الصحابة اصطلحوا على أمر الرسم المذكور، فلا يخفى ما في كلامه من البطلان؛ لأنّ القرآن كتب في زمان النبي وبين يديه"[17]. وقد كان الرسول في فترة نزول الوحي عليه منجما لم يلحق بالرفيق الأعلى إلا والقرآن مكتوب على هذه الصورة، وإن لم يكن مجموعا في مكان واحد"[18] . وفي هذا الشأن يقول الزركشي: والذي نقوله إنّ الخط توقيفي"[19] .

ومما لا شك فيه أنّ ما ورد في القرآن الكريم من تغير في مباني بعض الكلمات القرآنية يمكن تفسيره ورده إلى التوسع في المعنى، وهذا مؤشر يستأنس فيه لإثبات أنّ كتابة القرآن الكريم هي توقيفية من الله تعالى لأغراض شريفة سامية يجب على القارئ أن يتدبرها ويستنبط مقاصدها ودلائلها "[20] يعضد هذا الرأي قول الإمام أحمد بن حنبل : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو ياء، أو غير ذلك"[21] ولم ينقل أنّ أحدا منهم فكر

أن يستبدل به رسما آخر من الرسوم الحديثة التي حدثت في عهد ازدهار التأليف ونشاط التدوين وتقدم العلوم، بل بقي الرسم العثماني محترما متبعا في كتابة المصاحف لا يمس استقلاله، و لا يباح حماها "[22] .

ومن الأمثلة الواضحة في هذا الصدد: أنّ هاء التأنيث أحيانا ترسم بالتاء، وأحيانا ترسم بالهاء، وليس ذلك من قبيل الصدفة، يستأنس بهذا الرأي ما ذكره الزكشي في فصل مد التاء وقبضها الرحمة مدت في سبع مواضع"[23] قال تعالى: **قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ** " (هود ، 73) فإذا وقفنا نظرة تدبر في رسم كلمة رحمة نجدها مفتوحة وأنّ لهذا الرسم سر دلالي فهو يتعلق بطبيعة العلاقة الإسنادية للعناصر اللّغوية، فعندما تتعلق الرحمة بالله عزوجل ترد مفتوحة؛ لأنّ رحمة الله واسعة ومطلقة، أما عندما ترتبط بالبشر تأتي مقبوضة. قد يأتي أحيانا رسم التاء مبسوطة رغم إسنادها لله فيستشكل على القارئ فهم طبيعة هذا الرسم نحو قوله تعالى: **وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ**" (النحل ، 18) " **وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ** " (إبراهيم ، 34)

فإذا نظرنا مليا في متعلقات هذا الإسناد لنعمة أدركنا أنّ اختلاف رسمها يتكيف مع السياق. ففي الآية الأولى وردت نعمة مربوطة لأنّها إخبار عن فضل الله للمؤمنين خاصة، والدليل على ذلك قوله: إنّ الله لغفور رحيم" أما في الآية الثانية جاءت مبسوطة ؛لأنّها إخبار عن فضل الله للبشرية جمعاء، والدليل على ذلك قوله " إنّ الإنسان لظلوم كفار" . علق القاضي أبو بكر على أهمية هذا الرسم بقوله" وكيف نتوصل إلى فتح بعض التاءات وربطها في بعض فكل ذلك لأسرار إلهية، وأغراض نبوية. وإنّما خفيت على الناس لأنّها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني. فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة في أوائل السور، فإنّ لها أسرارا عظيمة ومعان كثيرة. وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئا من المعاني الإلهية التي أشير إليها"[24] فهذا الاختلاف في الرسم لا يمكن للبشر أن يحيطوا به وإنّما هو من إعجاز الله.

الرأي الثاني: أنّ رسم المصحف اصطلاحي لا توقيفي، وعليه فتجوز مخالفته"[25] وممن ناصر هذا المذهب أبو بكر الباقلاني، وابن خلدون، وكثير من العلماء المعاصرين. فأصحاب هذا الرأي لا يمانعون من تغيير هذا الرسم حسبما تقتضيه قواعد الرسم الحديثة " فمهما كان شكل الحرف الواحد مختلفا تبعا لنوع الخط الذي يرسم به فإن من

وجهة النظر اللّغوية واحد لأنّه لا يدل إلا على صوت واحد"[26] . ولذلك اختلفت خطوط المصاحف، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللّفظ، ومنهم من كان يزيد و ينقص لعلمه بأنّ ذلك اصطلاح وأنّ الناس لا يخفى عليهم الحال "[27] . وفي مجال رموز الصوائت ليس هناك اختلاف بين الرسم و الإملاء إلا أمور جزئية جدا ..."[28] . فالعلاقة بين الرسم المصحفي والإملاء الذي يستخدمه الكاتبون منذ القديم إلى اليوم في غير المصحف هو أنّ الرسم الذي كان يمثل مرحلة من مراحل الكتابة العربية، حمل خصائص تلك المرحلة، وما إملاؤنا اليوم إلا للرسم في معظم خصائصه "[29] .

استدل القائلون بأنّ الرسم العثماني ليس توقيفيا بما يأتي أولا أنّه لا دليل يدل على ذلك من القرآن والسنة فلا مانع من رسمه بأي رسم كان"[30] فرسم المصحف على ما هو عليه لم يكن توقيفي من النبي إنّما كان من اجتهاد الصحابة، ومسوغ أصحاب هذا الرأي أنّه لم يرد فيه شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكون الرسم توقيفا، وإنّما اصطلح الكتبة على هذا الرسم في زمان عثمان برضا منه، وجعل لهم ضابطا لذلك"[31] فهذا الرسم إنما هو من قبيل الترخص والتنوع، وقد أجمعوا على لزوم إتباع الرسم فيما تدعوا الحاجة إليه اختيارا و اضطرارا "[32] . يعضد هذا الرأي قول صبحي صالح" ولقد بلغ الغلو ببعضهم أشده حين زعموا هذا الرسم القرآني توقيفي وضع مناهجه النبي الكريم بعينه صلوات الله عليه ..."[33] ويضيف قائلا : ... ولا ريب أن هذا غلو في تقديس الرسم العثماني وتكلف في الفهم ما بعده تكلف"[34] فأصحاب هذا الرأي ينكرون توقيفية الرسم القرآني وحمله لأسرار بيانية.

إن حركة التأليف في رسم القرآن الكريم تجلت في ثلاث محطات كبرى " فجمع القرآن بمعنى كتابته، فقد اتخذ ثلاثة أشكال في ثلاثة عهود في الصدر الأول أولها عهد النبي صلى الله عليه وسلم- وثانيها عهد أبي بكر الصديق- رضي الله عنه – وثالثها عثمان بن عفان – رضي الله عنه"[35] . ولقد اقترن اسم رسم المصحف بعثمان ابن عفان فرسم المصحف يراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان – رضي الله عنه – في كتابة كلمات القرآن وحروفه"[36] فهو الرسم الاصطلاحي الذي توارثته الأمة منذ عهد عثمان – رضي الله عنه – ولذلك يسمي العلماء هذه الطريقة الرسم العثماني للمصحف"[37] يقول الزركشي: اعلم أنّه قد اشتهر أن عثمان هو أول من جمع المصاحف؛ وليس كذلك لما بيناه، بل أول من جمعها في مصحف واحد الصديق، ثم أمر عثمان حين خاف الاختلاف في القراءة بتحويله منها إلى المصاحف هكذا نقله البيهقي"[38] .

الرأي الثالث: جواز كتابته بالرسم الحديثة لعامة الناس حسب قواعد الخط في أي عصر، مع الإبقاء على الرسم العثماني والمحافظة عليه للعلماء والخاصة ... وممن ناصر هذا المذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وبدر الدين الزركشي"[39]. والعلة في هذا الاختيار" أنّه لا يجوز كتابتهم لهم بالرسم العثماني الأول لئلا يوقع في تغيير من الجهال

"[40] . وما ينبغي الإشارة إليه في هذا الصدد أن التسليم باصطلاحية الرسم القرآني قد يمس جوهر ألفاظ القرآن الكريم ويقودونا إلى إنكار كثير من ظواهر الرسم التي تتعلق بلطائف دلالية، والرأي الراجح أنّ رسم المصحف توقيف من الله تعالى بالأدلة الناصعة الذي لا يدع الشك، فالكلمة القرآنية معجزة في كتابتها ومعجزة في ترتيلها ومعجزة في تبيانها"[41] فما اختلاف صياغة رسم ألفاظه إلا تبعا لمعاني الآيات .

3- الرسم القرآني والقراءات:

ما يجدر الإشارة إليه هنا التمييز بين القرآن والقراءات قال الزركشي: اعلم أنّ القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتين، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف في ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تحقيق وتثقيل وغيرهما"[42] .

تشكل القراءات القرآنية مجالا خصبا لتعدد وجوه اللّفظ" فالذي لا تختلف فيه وجوه القراءات كانوا يرسمونه بصورة واحدة لا محالة. أما الذي تختلف فيه وجوه القراءات فإن كان لا يمكن رسمه في الخط محتملا تلك الوجوه كلها، فإنّهم يكتبونه برسم يوافق بعض الوجوه في مصحف، ثم يكتبونه برسم آخر يوافق بعض الوجوه في مصحف آخر"[43] . فالقراءة سنة متبعة، لا اجتهاد فيها ولا قياس"[44] ولعلماء القراءات ضابط مشهور يوزن به الروايات الواردة في القراءات، فكل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها "[45] .

وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها مثل: إنّ هذان – اسطاعوا "[46] والتي خرجت عن القياس اللّغوي . وهذه المخالفة بين الرسم وبين القراءة جائزة مقبولة، بل تحتملها ضرورة تحقيق الكلام المنطوق على وجهه الصحيح، ولا يلتفت إلى ما في الرسم من زيادة أو نقص أو غير ذلك "[47] .

يعتبر الرسم المصحفي مصدرا من مصادر القراءة فمخالفة الرسم العثماني ينجم عنه ترك الكثير من القراءات القرآنية. فهناك الكثير من القراءات القرآنية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالرسم العثماني، ونقلت إلينا تلك القراءات نقلا متواترا صحيحا، فلو أنّنا اتبعنا الرسم الإملائي لذهبت تلك القراءات واختلفت اختلافا كليا، واختلفت عما وردت عن النبي صلى الله ليه وسلم"[48] . فإذا كان الإيجاز في لغة العرب يراد به الاختصار والتخفيف وعدم التطويل فحسب، فما بالك بهذا الإيجاز في الرسم العثماني الذي ظهر فيه سمو البلاغة وحسن الفصاحة في تأدية وجوه القراءات وأصواتها، فليس هناك تنافر في اللّغة العربية والرسم العثماني "[49] فالرسم القرآني

له قيمته العلمية في القراءات القرآنية، فهو يعد أحد الشروط في قبول القراءة "[50] فقد يستوعب أكثر من قراءة قرءانية، وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي يبنى عليها الخط والهجاء ، ثم ما عدا ذلك يذكر ولا نقصان لاستقامة اللّفظ وبقاء الحفظ، وكان إتباع خط المصحف سنة لا تخالف"[51] .

ومن المعلوم عند علماء القراءات أنّ أي تغيير في رسم بعض الكلمات القرآنية غالبا ما يؤدي إلى تغير في بنية الكلمة ودلالتها. ولذلك كان الخلاف المشهور في بسطة الأعراف دون بسطة البقرة كون حرف البقرة كتب بالسين وحرف الأعراف بالصاد؛ على أنّه مخالف صريح في الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفا إذا ثبت القراءة به"[52] . ومن ذلك أيضا اللعنة فكل ما في كتاب الله عز وجل من ذكر اللّعنة فهو بالهاء إلا في موضعين فقد رسما بالتاء المفتوحة والموضعان آل العمران، النور. وقف عليهما بالتاء المفتوحة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر وخلف العاشر وذلك إتباعا لرسم العثماني، فلو أنّ كلمة اللّعنة كتبوها بقواعد الرسم القياسي لما كان لما يدل على بعض القراءات"[53] لكن ذلك لا يحتم تفسير الرسم؛ لأنّ هذا التغير في نطق الصوت لا يؤثر في المعنى، فالصوت الجديد هو فرع للصوت الأصلي، وهو ما يسميه علماء اللّغة الفونيم، و من ثم فإنّ القراءات لهذه الظاهرة تعد من وجوه المطابقة الجائزة "[54] .

4- مزايا الرسم القرآني:

ينطوي الرسم القرآني على مزايا كثيرة نذكر منها ما يأتي:

الفائدة: الدلالة في القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الإمكان، وذلك أنّ قاعدة الرسم لوحظ فيها أنّ الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر كتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو أكثر..."[55]. الفائدة الثانية: إفادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة، وذلك نحو كلمة أم في قوله تعالى: **فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلاً** "(النساء ، 109) غير أنّها ترسم في سياق قرآني آخر مدغمة . قال تعالى: **أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ** "(الملك، 22) كتبت هكذا أمن بإدغام الميم الأولى في الثانية وكتابتها ميما واحدة مشددة ، فقطع أم الأولى في الكتابة للدلالة على أنّها أم المنقطعة التي بمعنى بل، ووصل أم الثانية للدلالة على أنّها ليست كتلك "[56] .

الفائدة الثالثة: الدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء في كتابة كلمة أيد قال تعالى: **وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** " (الذاريات، 47) كتبت هكذا بأييد وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله الذي بنى بها السماء وأنّها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة، وهي زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى"[57] ويستزاد على هذا المعنى قول أبو العباس المراكشي: إنمّا كتبت بأييد الياءين فرقا بين الأيد الذي هو القوة، وبين الأييدي جمع يد. ولا شك أنّ القوة التي بنى بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي ، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في إدراك الملكوتي في الوجود "[58] .

الفائدة الرابعة: الدلالة على أصل الحركة مثل كتابة الكسرة ياء وإيتاء ذي القربى" إذ كتبت هكذا وإيتائي ذي القربى ومثل الدلالة على أصل الحرف نحو الصلاة والزكاة إذ كتب هكذا الصلواة والزكواة ليفهم أن الألف منقلبة عن واو"[59] يضاف إلى هذه المزية أنّ ما كتبت الألف فيه واو جاء على لغة التفخيم القصد بذلك تعظيم شأن هذه الأحرف، فإنّ الصلاة والزكاة عمود الإسلام و الحياة قاعدة النفس، ومفتاح البقاء وترك الربا قاعدة الأمان ومفتاح التقوى"[60] ولهذا قال تعالى: **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ** " (البقرة، 278) .

الفائدة الخامسة: إفادة بعض اللّغات الفصيحة، مثل كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة دلالة على لغة طيئ مثل قوله تعالى: **يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ** " (هود، 105) كتبت بحذف الياء هكذا يأت للدلالة على لغة هذيل"[61] وتفسير حذف الياء في هذه الآية على أنه من باب موافقة لغة هذين لا يمكن اعتباره سليما لأنه مجرد إسقاط فقط. لكن إذا تأملنا في سياق هذه الآية يتبين لنا أن يأت لم تكن مسبوقة بجزم، والمسوغ في حذف الياء يرجع لسر دلالي، فذكر الياء يفيد الامتداد في عالم الدنيا، أما حذف الياء في يأت يشير إلى القصر والانقطاع في إتيان الآخرة.

5– الرسم القرآني والنحو:

يعتبر الرسم القرآني من الظواهر اللّغوية المهمة التي يجب الالتفات إليها ؛لأنّها تمثل مظهرا جديدا لإعجاز القرآن الكريم وبيانه لم يألفه العرب من قبل، فلو نظرنا في كتاب الله تعالى نجد أنّ الكلمة في السياق القرآني تتوزع وفق أشكال مختلفة لتعبر عن محمولات دلالية مختلفة حسب طبيعة رسم كل كلمة وما يحيط بها من عناصر لغوية

تعطي لها خصوصية معينة، فوجود كلمة قرآنية برسم مختلف في آية يلفت النظر إلى أنّ هناك أمرا عظيما يجب تدبره ..."[62] فالوقوف على رسم الكلمة القرآنية يعزز المعنى ويعطيه أبعادا دلالية أخرى.

إنّ رسم ألفاظ القرآن الكريم لا يمكن فهم أسراره إلا من خلال عملية التدبر الذي يمثل فعالية ذهنية وصيرورة قرائية تنتج دلالات إضافية تؤول إلى هذا الرسم. ومما يدل على أنّ وجودها بهذا الشكل المخصوص له معنى دقيق أو معاني دقيقة يلزم تدبرها من واقع السياق القرآني والمعنى الإجمالي للآية أو الآيات داخل هذا السياق"[63] . فهذا التدبر ما هو إلا اجتهاد قاصر لا يمكن أن يحيط بكل ما يوحيه هذا الرسم من معاني خفية، وإنّما هو خطوة صغيرة على الطريق تحتاج إلى تضافر كل الجهود لبيان الجوانب الأخرى الكامنة فيه..."[64] ، فكتابة بعض الكلمات القرآنية بهذا الشكل لها أغراض شريفة وتحتاج إلى تدبر وتفكر لبيان المغزى، وهذا سر من أسرار القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه"[65] .

يعتبر الرسم القرآني من القرائن المهمة التي ينبغي الاستعانة بها للاستدلال على المسائل النحوية وكمؤشر ترجيحي لبيان الدلالة النحوية للفظة في سياقها القرآني. ومن شواهد هذا قوله تعالى:**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ** " (الأعلى، 6) وقد دأب أهل اللّغة قديما وحديثا على الاحتجاج بالرسم العثماني في مواضع الاختلاف، كما احتج به علماء التفسير عند اختلافهم في بيان مراد الله في قوله تعالى "سنقرئك فلا تنسى " هل هو نهي أو نفي، فلا شك أنّ عدم حذف الألف في قوله" تنسى " يدل على أنه نفي، فلا وجه للعجب والاستغراب ولا جفوة ولا قطيعة بين الرسم العثماني واللّغة العربية"[66] ويستأنس بهذا التأويل قول الطاهر ابن عاشور: فليس في قوله" فلا تنسى " ليس من الخبر المستعمل في النهي عن النسيان؛ لأنّ النسيان لا يدخل تحت التكليف، أما إنّه ليست فيه ناهية فظاهر، ومن زعمه تعسف لتعليل كتابة الألف في آخره "[67] فهذه الآية حملت على وجهين تحتملها غير أنّ اختلاف الإعراب بقرينة الرسم قيد المعنى .

لقد بحث المفسرون وعلماء اللّغة في اختلاف الإعراب في بعض سياقات القرآن الكريم، والذي يخالف قواعد اللّغة من خلال اللجوء إلى البحث لها عن مسوغات مختلفة، كالحذف والتقدير، يقول محمد شملول في هذا الشأن: علماء قواعد اللّغة العربية بحثوا في الدلالة النحوية للصابئين في مباحث التقديم والتأخير وحذف الاسم أو فعل أو حرف وغير ذلك من السبل التي توصلهم إلى الإعراب"[68].

إذا تأملنا في كلمة الصابئون في سياقها القرآني نجدها في قوله تعالى جاءت موافقة لمرسوم الخط مخالفة للإعراب قال تعالى: **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ** ...(المائدة،69) ورود كلمة "والصابئون" مرفوعة بواو الجماعة في الآية الأولى على خلاف المعتاد في الإعراب يلفت النظر على أهمية هذه الكلمة وأنه يجب الوقوف عندها وتدبرها "[69] . جاءت الصابئون مرفوعة على غير المعتاد فإن فئة الصابئين فيها حسب الترتيب تأتي بعد فئة الذين هادوا، وقبل فئة النصارى مما يعني أنهم هم الذين تركوا الدين اليهودي قبل مجيء المسيح عليه السلام – بعد أن بدأت تدخله الانحرافات ... وهذه الفئة بالطبع هي فئة قليلة جدا ومختارة وذات قلب سليم، لذلك خص الله هذه الفئة ولفت الانتباه إليها بأن خالف– إعرابها – الإعراب المعتاد حتى يقف عندها قارئ القرآن ويتدبرها ويعرف مدى الجهد الذي بذلته هذه الفئة للخروج من دين اليهودية بعد انحرافه إلى دين الحنفية السمحاء"[70] . أما في آية الحجر تكلمت عن أصناف الناس كلهم و لذلك جاءت عامة وأنّ الله سيفصل بينهم يوم القيامة جاءت على الوجه المعتاد في الإعراب"[71] . قال تعالى: **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ** ... (الحجر، 17) . إنّ تغير رسم الكلمة أو شكلها بمخالفة الإعراب لا بد أن يؤدي إلى تغير معناها فلا يمكن أن يتغير رسم الكلمة القرآنية عبثا .

6– تأملات في ظواهر الرسم القرآني :

الرسم القرآني حقل خصب لإنتاج الدلالة على غرار اللّغة، فهو ليس غريبا على لغة العرب، وليس فيه تناقض ولا تنافر مع اللّغة العربية كما زعموا، فكما أن الرسم العثماني استعمل على حروف زائدة لأغراض بلاغية فهمها من فهما و جهلها من جهلها ..."[72] . فالحديث عن ظواهر الرسم في القرآن الكريم يقودنا إلى النظر في ثنائية الرسم والإملاء باعتبارهما حقيقتان متمايزتان، الأصل في الكتابة أن تكتب الكلمة كما تنطق بها تماما، من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل ولا تغيير مع مراعاة الابتداء بها و الوقوف عليها. ويطلق على ذلك الرسم القياسي"[73] فإذا تدبرنا هذا الرسم نجده أحيانا يختلف عن بعض سنن العرب في كلامها وأدائها. فقد جاءت بعض ألفاظه مخالفة لقواعد الرسم القياسي قال الزركشي: واعلم أنّ الخط جرى على وجوه: فيها ما زيد عليه على اللّفظ؛ ومنها ما نقص ومنها ما كتب على لفظه، وذلك لحكم فيه وأسرار بهية" [74] .

هذا الاختلاف والتنوع في هيئة رسم الكلمات" قد يحمل أسرارا من الإعجاز اللّغوي " فبعض الكلمات القرآنية تأتي على رسم مختلف عن الرسم الأصلي لها، ولذلك توحي بأنّ هناك قضية عظيمة يجب على قارئ القرآن الالتفات لها وألا يمر عليها مرور الكرام"[75]. ولعل أشهر محاولة لتفسير ظواهر الرسم بالبحث عن أسراره كانت على يد أحمد المراكشي، تقوم هذه المحاولة على تفسير ظواهر الرسم على أساس اختلاف معاني الكلمات حسب السياقات لكل رسم ..." [76] فلقد اهتم بتفسير ظواهرها على أساس اختلاف المعاني حسب دقائق الرسم. غير أنّ هذه المحاولات لم تجد صدى عند كثير من الباحثين، والذين وسموا ما قام به من قبيل الفذلكة فأسلوبه صوفي باطني لا يمت إلى اللّغة ولا إلى طبيعة الكتابة "[77] . فما قام به أحمد المراكشي يعتبر منطلقا معرفيا وتأويليا فتح المجال أمام المشتغلين في مجال الدراسات القرآنية للكشف عن لطائف هذا الرسم وما يحمله من أبعاد دلالية.

تعددت مظاهر الرسم القرآني، والتي حصرها علماء الفن في ست قواعد. وهي الحذف، والزيادة ، والهمز والبدل، والفصل والوصل وما في القراءات قرئ على إحداهما"[78] وهذه القواعد لا تخضع في حقيقة الأمر إلى معيار معين وإنّما هي قواعد سياقية إن صح التعبير تنتظم دلالتها من خلال ورودها داخل السياق.

في هذه الدراسة سنقتصر على بعض مظاهر الرسم منها الحذف والزيادة .

الحذف: وتحته ثلاثة أنواع:

1- حذف الإشارة: وهو أن يكون موافقا لبعض القراءات مثل قوله تعالى: **وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ** "(البقرة، 51) قرئ بحذف الألف التي بعده الواو في واعدنا كما قرئ بإثباتها، فحذفت الألف إشارة إلى قراءة الحذف، والقراءة الثانية جاءت على الأصل وهي المواعدة، فالله تعالى وعد موسى الوحي وموسى- عليه السلام –وعد الله المجيء "[79] .

2- حذف الاختصار: حذف ألف جمع المذكر السالم والمؤنث السالم مثل قوله تعالى: **سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ** " (المائدة ،41) .

3- حذف الاقتصار: وهو ما اختص ببعض الكلمات دون بعض مثل قوله تعالى: **وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ** " (الأنفال ،42) فإذا ما تأملنا في كلمة الميعاد في سياقاتها القرآنية نجدها وردت مرة واحدة فقط وذلك برسم مختلف بدون ألف صريحة على شكل الميعاد وذلك حين نسب هذا الميعاد إلى البشر"[80] إذ إنّ الأصل في رسم هذه الكلمة أن تأتي مثبتة ألفها نحو قوله تعالى: **رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ** "(آل عمران، 9).فقد وردت بألف صريحة في وسط الكلمة 5 مرات في القرآن الكريم كله ... وكلها تتكلم عن الميعاد الذي وعده الله"[81] .

أ- حذف الألف الوسطية :

المعاني العامة التي تدل عليها ألف المد و هي محذوفة من الكلمة القرآنية لتوحي بوحدة الشيء أو قرب أجزائه، أو قربه من شيء آخر آو سرعته أو التصاقه، كذلك فإن حذف ألف المد يوحي بصفة التمكين وصفة الاستمرارية الزمنية أو المكانية وصفة الربط والالتصاق... "[82] . فمثلا يوحي ورود كلمة لصاحبه في بعض آيات القرآن الكريم بدون ألف وسطية فارقة بنوع زائد من القرب و الإلصاق قال تعالى: **إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ** " (التوبة، 40). ذكر القرآن الكريم في سورة الكهف على لسان مالك الجنتين فقال لصاحبه – جاءت كلمة لصاحبه بدون ألف وسطية لتوحي بما كان يظنه مالك الجنتين من أن صاحبه ملتصق به في الرفقة والإيمان. غير أنّه حين بدأ هذا الرجل في الكفر بالله والكفر بالساعة يتغير فورا رسم وكتابة كلمة صاحب من لصاحبه بدون ألف إلى صاحبه بالألف لتوحي بنوع من الانفصال الإيماني رفقة المكان والزمان"[83] **قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا** " (الكهف، 37). وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى واضحا في حق الرسول – صلى الله عليه وسلم – حينما نسبه الله تعالى إلى قومه فجاءت كلمة صاحبكم بالألف الصريحة الفارقة بينه وبين قومه في الإيمان بالرغم من مصاحبته لهم في المكان والزمان"[84] قال تعالى: **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ** " (النجم، 2)

غير أنّ هذا التداخل في ازدواجية رسم الكلمة القرآنية أحيانا لا يتم بصفة مطردة وإنما يتحدد أساسا بمراعاة دلالة الكلمة في ذاتها نحو قوله تعالى: **بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ** " (البقرة ،81) . ومن ذلك أيضا كلمة بسم وردت في بعض المواضع في القرآن الكريم بدون ألف الوصل. قال تعالى: **وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ** " (هود، 41). كما أنّها وردت – باسم – بألف الوصل. قال تعالى: **فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ** " (الواقعة ، 74) . جاء في تهذيب الخواص من درة الغواص أنّ من أوهامهم في الهجاء أنّهم يكتبون باسم الله بحذف الألف أينما وقع ، فيوهمون فيه ؛ لأنّ الألف إنّما حذفت منه إذا كتبت في فواتح السور أو أوائل الكتب؛ لكثرة استعماله في كل ما يبدأ به ويشرع فيه "[85] فحدود هذا الرسم عندهم تتعلق بقواعد الإملاء فهي لا تعدوا أن تكون أمرا شكليا لا غير.

إنّ ورود هذه الكلمة ذاتها بشكل مختلف له خصوصية سياقية ودلالية :

1-**التخصيص السياقي** :بسم الله بدون ألف يفيد التخصيص، إسناد لألوهية .

2-**التخصيص الدلالي**: والذي يتعلق بالعطاء الإلهي للمؤمنين.

3-**التخصيص السياقي**: باسم ربك بالألف يفيد العموم ، إسناد للربوبية .

4-**التخصيص الدلالي**: والذي يتعلق بالعطاء الرباني للمؤمنين وغيرهم .

قال تعالى: **وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ**" (البقرة ، 57) وردت كلمة الغمام في وفق شكلين متغايرين وهذا حسب دلالة كل منهما في سياقهما القرآني؛ إذ نجد في الآية الأولى الغمام رسمت بألف وسطية أما في الآية الثانية نجدها بدون ألف. إذا تدبرنا رسم هذه الكلمة نرى أن رسمها يجانس دلالتها باعتبار القالب الذي تنصهر فيه.

الحالة الأولى: جاءت الغمام بالألف الوسطية في سورة البقرة مما يوحي بأن الغمام لم يكن مضموما إلى بعض ... أي أنه كان متفرقا وذلك بسبب ما جاء في مقدمة الآيات من أن بني إسرائيل كانوا في شك من الإيمان بموسى عليه السلام حتى يروا الله جهرة ... .

الحالة الثانية : أما في الحالة الثانية فقد جاءت كلمة الغمام بدون ألف وسطية مما يوحي بأن الغمام كان قريبا من بعضه متجمعا، وبذلك كان الظل وارفا كبيرا وهذا كان جزاء للأمة التي ذكرها الله تعالى من قوم موسى يهدون بالحق وبه يعدلون"[86] .

ومن هذا الحذف أيضا رسم كلمة والد ومشتقاتها فقد جاءت 3 مرات في القرآن الكريم كله وكلها بالألف الصريحة " **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ** " (لقمان،33) ، أما كلمة والدة ومشتقاتها فقد جاءت 3 مرات أيضا في القرآن الكريم كله وك لها بدون ألف جاء في قوله تعالى : **وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ** ... (البقرة ،233) عدم وجود الألف يوحي بالتصاق الوالدة بولدها، مما يؤكد أن رسم الكلمة القرآنية يعزز المعنى ويزيده مساحة وأبعادا جديدة "[87] .

ب– حذف الألف في الآخر:

قد ترد أحيانا أفعال ترسم دون ألف تفريق وفي الوقت ذاته نرى بعض الكلمات التي لا يوضع لها ألف تفريق في قواعدنا الإملائية غير أنّها يوضع لها في القرآن ألف تفريق، و هذه ظاهرة جلية في القرآن الكريم لا يمكننا تجاهلها، فإذا نظرنا نظرة فاحصة في علامات هذا الرسم نستشف أنّها تحمل لطائف دلالية. وردت كلمة جاءو في القرآن الكريم 9 مرات كلها بدون ألف في آخرها مخالفة للكلمة المعتادة في جاءوا. قال تعالى: **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا** " (الفرقان، 4) ، أما كلمة أتوا فقد وردت في القرآن 4 مرات جميعها بألف في آخرها، أي بصورة معتادة"[88]. وحتى يمكن تفسير ذلك نرجع إلى معنى كلمة جاء ومعنى كلمة أتى، المجيء كالإتيان لكن

المجيء أعم؛ لأنّ الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد و إنّ لم يكن منه الحصول والمجيء يقال اعتبارا بالحصول"[89] الفرق الدلالي بينها أنّ الفعل جاء تعني وصل فعلا أتى أشرف على الوصول" [90] .

اختلاف دلالة الكلمتين يلقي بظلاله على رسم الكلمة و حيثما تأتي كلمة جاءوا بدون ألف فإنها توحي بالوصول إلى الموقع المحدد بدون تراخي ... أما كلمة أتوا فتعين الوصول إلى مشارف الموقع ولا بد لزمن ما للوصول إلى الموقع المحدد" [91] . ومن هذا الحذف أيضا كلمة أيها، وردت بشكلها العادي في القرآن الكريم 150 مرة ... غير أنها وردت بشكل مختلف أيه بنقص الألف في آخرها في ثلاث مواضع "**وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ** " (النور، 31) جاءت بهذا الشكل بنقص أحرف الكلمة لتوحي بالإسراع في التوبة ... وأنّه يجب على أي مؤمن أن يتوب من أي خطأ يرتكبه بأقصى سرعة وأن لا يتوانى في ذلك" [92] .وسياق الآية الكريمة نجده يتكلم عن المؤمنين خاصة وربما حذفت ألف أيها إشارة إلى الحصر و التخصيص أما في قوله تعالى: **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ** ..." (لقمان،33) نجد الألف مرسومة لأنّها أسندت إلى الناس، ومن هنا يتضح أنّ هناك علاقة دلالية بين الصوت والكلمة، فالألف من خصائصها الصوتية أنّها مدية وكأنّها تشير إلى معنى الإطلاق الذي يتناسب مع ما هو عام وحذفها يقيد هذا المطلق .

ج–حذف الواو: قال تعالى: **سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ** " (العلق ،18) حذف الواو من سندع لما فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش، وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه و حذف آخر"[93] ومن لطائف هذا التأويل في رسم الكلمة القرآنية قوله تعالى: **وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ** " (الشورى، 24) "حذفت منه الواو علامة على سرعة الحق وقبول الباطل له بسرعة "[94] بدليل قوله تعالى: **فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ** " (القمر، 6)" حذفت الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة "[95] .

د– حذف النون: يلحق بهذا القسم حذف النون الذي هو لام الفعل ، فيحذف تنبيها على صغر مبدأ الشيء وحقارته و أنّ منه شيئا و يزيد إلى ما لا يحيط بعلمه غير الله نحو قوله تعالى: **أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ**

يُمْنَىٰ " (القيامة ، 37) حذفت النون تنبيها على مهانة مبدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو من نفسه، ثم يرتقي في أطوار التكوين ..."[96] .

الزيادة : من مظاهرها زيادة الألف وهي إما أن تزاد من أول الكلمة أو من آخرها أو من وسطها، فالأول تكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود قال تعالى: **لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ**" (النمل، 21). زيدت الألف تنبيها على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظا؛ فالذبح أشد من العذاب"[97] . والثاني يكون باعتبار معنى خارج عن الكلمة يحصل في الوجود ؛ لزيادتها بعد الواو في الأفعال .نحو يرجوا ويدعوا. وذلك لأنّ الفعل أثقل من الاسم؛ لأنه يستلزم فاعلا فهو جملة والاسم مفرد لا يستلزم غيره، فالفعل أزيد من الاسم في الوجود، والواو أثقل حروف المد واللين، والضمة أثقل الحركات، والمتحرك أثقل من الساكن، فزيدت الألف تنبيها على ثقل الجملة، وإذا زيدت مع الواو التي لام الفعل فمع الواو التي هي ضمير الفاعلين أولى .." [98] .

هذه الزيادة لا يمكن تفسيرها في إطار هذا الجانب، إذ كيف نفسر ورود الفعل يدعو وفق رسمين مختلفين رغم أنّهما يتقاربان في صياغتهما. قال تعالى: **لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا** "(الفرقان ، 14) ."**وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ** " (يونس ، 106) . إذا تدبرنا في سياق ورود كلمة دعا يتبين لنا أن رسمها لا ينفك عن دلالتها السياقية، ففي سورة الفرقان نرى رسم الفعل تدعوا بألف مدية ويوحي ذلك إلى الامتداد والإطلاق في المعنى، والقرينة في ذلك نفي الدعوة عن الواحد إلى الكثرة يعضد هذا التأويل قوله تعالى: **وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**" (يونس، 25) .

يفهم من هذه الآية الكريمة أنّ دعوة الله لعباده إلى السلام مفتوحة وممدودة فهي غير مقيدة. أما في سورة يونس فقد وردت بدون ألف ويرجع ذلك إلى تعلق أمر الدعوة إلى توحيد الله دون غيره وعلى هذا تجرد هذا الفعل من الألف ليفيد الحصر والتخصيص.

7– الخاتمة: يعتبر الرسم القرآني من منابع الإعجاز البياني من خلال ما تضمنه من وسائل بيانية ومؤشرات أسلوبية التي لا يمكن لأحد أن ينكرها، إذ إن كل رسم له سياقاته التي ورد فيها، والذي يؤطر ضمن أنساق لغوية ودلالية مترابطة ومتكاملة، وهذا ضمن نسق مفتوح تتدرج فيه الدلالة حسب كفاءة المتلقي في فهم النظام الترميزي للنص القرآني –الرسم القرآني– الذي يحمل أبعادا دلالية وأسرارا بديعة إذا ما تدبرناه. وكل محاولة للخروج عن هذا النظام اللغوي والدلالي يمكن عده مساسا وتحريفا لكلام الله الذي نزل على الرسول الأكرم بحرفيته دون زيادة أو نقصان.

الهوامش:

القرآن الكريم : برواية حفص عن عاصم.

[1] – عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ، ودفعها ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط4 ، 1999 ، ص: 5 .

[2] – ينظر: محمد أمين الشنقيطي ، الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني ، مكتبة الملك فهد ، ص: 19 .

[3] – ابن فارس ، مقاييس اللّغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مادة : (ر . س. م) ، دار الفكر ، د ط ، 1979 ، ج2 ، ص: 393 .

[4] – جار الله الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح : محمد باسا عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1998 ، ج1 ، ص: 353 .

[5] – ابن المنظور ، لسان العرب ، تح : أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيري ، مادة : (ر . س. م) ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط3 ، 1999 ، ج5 ، ص:215 .

[6] – محمد شملول،إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة، تح: علي جمعة محمد، دار السلام ، القاهرة ، ط1، 2006 ، ص: 17 .

[7] – عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تح : فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1995 ، ج1 ، ص: 30 .

[8] – غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، ط1 ، 1982 ، ص: 156 .

[9] – عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 310 .

[10] – ينظر محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة ، ص: 6 .

[11] – أحمد بن أحمد شرشال ، التوجيه السديد في رسم و ضبط بلاغة القرآن المجيد،جامعة قطر،العدد 20 ، 2002 ، ص: 21 .

[12] – شعبان محمد إسماعيل ، رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاحات الحديثة ، دار السلام ، مصر ، ط1 ، 2001، ص: 64 .

[13] – محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة ، ص: 51 .

[14] – عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 288 .

[15] – غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، ص: 64 .

[16] – محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة ، ص: 50 .

[17] – عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 315 .

[18] – غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، ص: 65 .

[19] – بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، د ط ، د ت ، ج1 ، ص:377 .

[20] – محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة ، ص: 10 .

[21] – المصدر نفسه ، ص: 18.

[22] – عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ، ص:300 .

[23] – ينظر: بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 411.

[24] – عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 314

[25] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 312 .

[26] – غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، ص: 158 .

[27] – عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 313 .

[28] – غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، ص: 736 .

[29] – المصدر نفسه ، ص: 738 .

[30] – المصدر نفسه ، ص: 741 .

[31] – مناع قطان ، مباحث في علو القرآن ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط7 ، ص:141 .

[32] – أحمد بن محمد البنا ، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تح : شعبان محمد إسماعيل ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1987 ، ص: 319.

[33] – صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط10 ، 1977 ، ص:275 .

[34] – المصدر نفسه ، ص: 277 .

[35] – مناع قطان ، مباحث في علو القرآن ، ص: 69 .

[36] – عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص: 300 .

[37] – مناع قطان ، مباحث في علو القرآن ، ص: 139 .

[38] – بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 235 .

[39] – شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف و الاصطلاحات الحديثة ، ص: 63 .

[40] – عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 316 .

[41] – محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة ، ص: 8 .

[42] – بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 318 .
[43] – عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 212 .
[44] – غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، ص:56 .
[45] – ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، د ط ، د ت، ج1 ، ص: 9 .
[46] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 10 .
[47] – غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، ص:670 .
[48] – محمد أمين الشنقيطي ، الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني ، ص: 67 .
[49] – أحمد بن أحمد شرشال ، التوجيه السديد في رسم و ضبط بلاغة القرآن المجيد ، ص: 24 .
[50] – يوسف بن محمود الخوارزمي ، موجز كتاب التقريب في رسم المصحف العثماني ، تح : عبد الرحمان آلوجي ، دار المعرفة ، دمشق ، ط1 ، 1989 ، ص: 6
[51] – بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 172 .
[52] – ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج1 ، ص: 12 .
[53] – محمد أمين الشنقيطي ، الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني ، ص: 271 .
[54] – غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، ص: 675 .
[55] – عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 306 .
[56] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 307 .
[57] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 307 .
[58] – بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 387 .
[59] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 308 .
[60] – بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 409 .
[61] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 308 .
[62] – محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة ، ص: 22 .
[63] – المصدر نفسه ، ص : 47 .
[64] – المصدر نفسه ، ص :48
[65] – المصدر نفسه ، 49 .
[66] – أحمد بن أحمد شرشال ، التوجيه السديد في رسم و ضبط بلاغة القرآن المجيد ، ص: 16 .
[67] – ابن عاشور، التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، د ط ، 1984 ج30 ، ص: 281 .
[68] – ينظر: محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة ، ص: 194 .
[69] – المصدر نفسه ، ص: 197 .

[70] – المصدر نفسه ، ص: 198 .

[71] – المصدر نفسه ، ص: 198 .

[72] –. المصدر نفسه ، ص: 198 .

[73] – غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، ص: 10 .

[74] – بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص : 380 .

[75] – محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة ، ص: 9 .

[76] – ينظر: غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، ص: 8- 9

[77]– ينظر: المرجع نفسه ، ص: 8- 9 .

[78] – عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 300 .

[79] – شعبان محمد إسماعيل ، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة ، ص: 37 .

[80] – ينظر: محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة ، ص: 85 .

[81] – المصدر نفسه ، ص: 84 .

[82] – المصدر نفسه ، ص: 64 .

[83] – المصدر نفسه ، . ص: 66 .

[84] – المصدر نفسه ، ص: 66 .

[85] – ابن منظور ، تهذيب الخواص من درة الغواص، تح : أحمد طه وهبة رضوان ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، 2011 ، ص : 210 .

[86] – ينظر: محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة ، ص:111 – 112 .

[87] – المصدر نفسه ، ص: 98 .

[88] – المصدر نفسه ، ص: 77 .

[89] – الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، تح : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط4 ، 2009 ، ص: 212

[90] – محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة ، ص : 78 .

[91] – المصدر نفسه ، ص: 78 .

[92] – المصدر نفسه ، ص: 82 –83 .

[93] – بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 398 .

[94] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 398 .

[95] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 398 .

[96] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 407 –408 .

[97] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 382 .

[98] – المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 382 .

قائمة المراجع

1 – عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ، ودفعها ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط4 ، 1999 .

2– محمد أمين الشنقيطي ، الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني ، مكتبة الملك فهد .

3– ابن فارس ، مقاييس اللّغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مادة : (ر . س. م) ، دار الفكر ، د ط ، 1979 ، ج2

4– جار الله الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح : محمد باسا عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1998 ، ج.1

5– ابن المنظور ، لسان العرب ، تح : أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيري ، مادة : (ر . س. م) ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط3 ، 1999 ، ج.5

6– محمد شملول ، إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة ، تح: علي جمعة محمد ، دار السلام ، القاهرة ، ط1 ، .2006

7– عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تح : فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1995 ، ج1.

8– غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، ط1 ، 1982 .

9 – أحمد بن أحمد شرشال ، التوجيه السديد في رسم و ضبط بلاغة القرآن المجيد ، جامعة قطر، العدد 20 ،2002 .

10– شعبان محمد إسماعيل ، رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة ، دار السلام ، مصر ، ط1 ، 2001

11– بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، د ط ، د ت ، ج1.

12– مناع قطان ، مباحث في علو القرآن ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط.7

13– أحمد بن محمد البنا ، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تح : شعبان محمد إسماعيل ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1987.

14– صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط10 ، .1977

15– ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ط ، د ت ، ج1

16– يوسف بن محمود الخوارزمي ، موجز كتاب التقريب في رسم المصحف العثماني ، تح : عبد الرحمان آلوحي ، دار المعرفة ، دمشق ، ط1 ، 1989 .

17– ابن عاشور، التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، د ط ، 1984، ج30.

18– ابن منظور ، تهذيب الخواص من درة الغواص، تح : أحمد طه وهبة رضوان ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، 2011.

19– الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، تح : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت، ط4 ، 2009 .